بسم الله الرحمن الرحيم

طسٓ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٖ ١ هُدٗى وَبُشۡرَىٰ
لِلۡمُؤۡمِنِينَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم
بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ٣ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمۡ
أَعۡمَٰلَهُمۡ فَهُمۡ يَعۡمَهُونَ ٤ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمۡ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ
وَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡأَخۡسَرُونَ ٥ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلۡقُرۡءَانَ مِن
لَّدُنۡ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ٦ إِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهۡلِهِۦٓ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا سَـَٔاتِيكُم
مِّنۡهَا بِخَبَرٍ أَوۡ ءَاتِيكُم بِشِهَابٖ قَبَسٖ لَّعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ ٧ فَلَمَّا جَآءَهَا
نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ
ٱلۡعَٰلَمِينَ ٨ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٩ وَأَلۡقِ عَصَاكَۚ
فَلَمَّا رَءَاهَا تَهۡتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنّٞ وَلَّىٰ مُدۡبِرٗا وَلَمۡ يُعَقِّبۡۚ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفۡ
إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ١٠ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسۡنَۢا بَعۡدَ
سُوٓءٖ فَإِنِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١١ وَأَدۡخِلۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ
غَيۡرِ سُوٓءٖۖ فِي تِسۡعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَقَوۡمِهِۦٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ
١٢ فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَٰتُنَا مُبۡصِرَةٗ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ١٣

سورة النّمل

سورة النمل مكيّة وآياتها ثلاث وتسعون آية.

[١] سبق الكلام علىٰ الحروف المقطعة في أول سورة البقرة. ثم أشار سبحانه وتعالىٰ إلىٰ أن آيات هذا القرآن وهذ الكتاب العظيم التي أنزلها علىٰ نبيه ﷺ في هذه السورة وغيرها من السور هي آيات بينات واضحات، وضح الله فيها شئون عباده ومصالحهم في الدنيا، وأعمالهم التي يفوزون بسببها برضوان الله والجنة في الآخرة. [٢] ثم بين سبحانه أن هذه الآيات المقصود منها هو هداية الناس وإخراجهم من ظلمات الكفر إلىٰ نور الإيمان، وتبشير المؤمنين بعظيم الأجر والثواب الذي سيحصل عليه من عمل بهذه الآيات، كما أنها تزيدهم إيمانًا بنعم الله وفضله علىٰ عباده المتقين. [٣] ثم بين سبحانه أن من صفات هؤلاء المؤمنين: أنهم يقيمون الصلوات الخمس المفروضة عليهم كاملة بشروطها وأركانها وواجباتها في أوقاتها المحددة، ويؤدون الزكاة المفروضة لمستحقيها بإخلاص وطيب نفس، ويوقنون بالحياة الآخرة، وما فيها من ثواب وعقاب، وجنة ونار.

[٤] واعلموا أن الذين لم يصدقوا بالدار الآخرة وكذبوا الرسل وأنكروا البعث، زين الله لهم أعمالهم القبيحة وحببها إليهم، كما قال ﷺ: «**حفت النار بالشهوات**»[1]؛ حيث استهوتهم الملذات وتزيينها لهم مع أنها تعتبر سيئات، ولكون الكفر لا يطالبهم بعبادات ولا ينهاهم عن محرمات، وأنه لا حساب ولا بعث؛ فتحرروا بذلك من تبعات الإيمان من استعداد للقيامة، ومن صلاة وصيام وأنواع العبادات، لذلك تجدهم يسرحون ويمرحون ويتخبطون ويترددون في هذه الدنيا عبيدًا لأهوائهم بلا ضابط ولا قيود. [٥] ثم بين سبحانه أن هؤلاء الذين لم يؤمنوا بالآخرة أعد الله لهم أشد أنواع العذاب، وهم في الآخرة أشد الناس خسارة، ولا شك أن تزيين أعمال الكفار لهم جزاءً وليس ابتداءً. [٦] ثم أخبر سبحانه نبيه ﷺ أن هذا القرآن الذي نزل عليه بواسطة جبريل عليه السلام، هو من عند الله الحكيم في خلقه، العليم الذي أحاط بكل شيء علمًا ؛ لا كما يزعم الكفار أن النبي ﷺ هو الذي يأتي به من نفسه أو أنه من أساطير الأولين التي زعموا أنها تملىٰ عليه. [٧] واذكر يانبي الله يوم أن قال موسىٰ لأهله: انتظروا هنا فإني رأيت نارًا سأذهب إليها لكي آتيكم منها بخبر يدلني علىٰ الطريق المؤدية إلىٰ مصر، أو آتيكم بقطعة من النار تستدفئون بها، والحقيقة أنها ليست نارًا، وإنما هي نور خلقه الله، ولكنَّ موسىٰ ظنه نارًا، ولذلك فإن الله خاطبه بحسب ظنه. فلمّا وصل إليها وجد الهدىٰ والدفء الحقيقي والاصطفاء الرباني.

[٨] ثم نادىٰ جل وعلا موسىٰ وأخبره أن هذا المكان الذي فيه هذا النور مكان مبارك مقدس؛ فبورك من في النور وهو موسىٰ، وبورك من حول النور وهم الملائكة الكرام؛ ثم نزه سبحانه نفسه عن النقص والعيوب، وأخبر أنه رب العالمين الذي علا فوق جميع مخلوقاته. [٩] ثم نادىٰ الله موسىٰ قائلًا: ياموسىٰ إني أنا الله الذي لا إله إلّا أنا، وأنا الإله الحق المستحق للعبودية وحدي دون من سواي، وأنا العزيز الغالب الذي قهر جميع الكائنات، الحكيم في أمره وفعله، وخلقه وتدبيره. [١٠] ثم أمر سبحانه موسىٰ أن يلقي عصاه التي في يده، فاستجاب وألقاها، فانقلبت حيَّةً عظيمة، سريعة الحركة، فخاف منها موسىٰ خوفًا عظيمًا ولَّىٰ بسببه هاربًا؛ فناداه سبحانه مطمئنًا إيّاه، فقال له: ياموسىٰ لا تخف، إنه لا ينبغي لِمَن اصطفيتهم لرسالتي أن يخافوا غير الله. [١١] ثم استثنىٰ سبحانه فبين أن من تجاوز حده فوقع في الظلم ثم تاب إلىٰ الله من بعد ظلمه توبة نصوحًا، وبدَّل سيئاته إلىٰ حسنات؛ فإن الله يقبل توبته، ويقيل عثرته؛ لأنه هو الغفور الذي يغفر الذنوب جميعًا، والرحيم الذي وسعت رحمته كلَّ شيء. [١٢] ثم أرىٰ جل وعلا موسىٰ معجزةً ثانيةً تؤيده وتدل علىٰ أنه رسول من عند الله حقًّا، فقال له: أدخل ياموسىٰ يدك في فتحة قميصك الذي علىٰ صدرك، ثم أخرجها فستجدها بيضاء ناصعةً لا برص فيها ولا نقص؛ بل إنها ستُبهر الناظرين، وتأخذ بقلوبهم، وذلك ضمن تسع آيات نعطيك إيَّاها، ونُؤيِّدك بها، لتدعو فرعون وقومه للإيمان بالله وحده لا شريك له، إن فرعون وقومه كانوا خارجين عن طاعة الله وتوحيده، مقيمين علىٰ الشرك به وتنديده. [١٣] ثم بين سبحانه أن موسىٰ امتثل أمر الله، وذهب يدعو فرعون وقومه، وعرض عليهم الآيات البينات المثبتة لصدقه وأنه رسول من عند الله، فما كان منهم إلّا أن جحدوا واستكبروا وطغوا وعاندوا، وعزَّ عليهم أن يتركوا كبرياءهم وهيمنتهم، وقالوا: ما هذا الذي جئتنا به ياموسىٰ إلّا سحرٌ بينٌ واضح ظاهرٌ لكل أحد، لا شبهة عندنا ولا شكَّ في ذلك!!

---

(١) اخرجه البخاري (٦٤٨٧)، ومسلم (٢٨٢٢)، واللفظ له.

وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ
كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ
وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ
﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ
ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾
وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ
يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ
لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ
أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ
صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ
﴿١٩﴾ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ
مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَا۟ذْبَحَنَّهُۥٓ
أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ
أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾

[١٤] وبعد أن جاء موسىٰ عليه السلام بالمعجزات الدالة علىٰ صدقه وصحة نبوته؛ عرضها علىٰ فرعون وقومه فكذبوا بها وقالوا هذا سحر مبين، مع تيقنهم وتأكدهم أنها من عند الله، ولكن كذبوا بها ظلمًا واستعلاءً وتكبرًا علىٰ الحق، فانظر يانبي الله كيف كان مصير هؤلاء المجرمين المفسدين الذين كذبوا بالله وآياته ورسله، لقد كانت نهايتهم أن الله أغرقهم في البحر مع جنودهم وعدتهم وعتادهم الحربي.

[١٥] يخبر جل وعلا أنه منح نبيه داود وابنه سليمان عليهما السلام علمًا غزيرًا وَحِكْمَةً وَحُكْمًا، فعملا بهذا العلم وأثنيا علىٰ الله وشكراه علىٰ إكرامه وتفضيله لهما علىٰ عالمي زمانهم، وهذه الآية تدل علىٰ شرف العلم وارتفاع مكانة أهله.

[١٦] ثم أخبر جل وعلا أن سليمان ورث من والده داود النبوة والعلم والملك، وقال سليمان لقومه: - ممتثلًا أمر الله: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحىٰ:١١] -: ياأيها الناس لقد علمنا وفهمنا الله كلام الطير، وأعطانا سبحانه كل ما نحتاجه وننتفع به؛ فسبحان الوهاب الفعال لما يشاء، واعلموا أن كل ما جاءنا من الله لهو الفضل الواضح والاحسان الظاهر منه عز وجل.

[١٧] وَجُمِعَ لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير، وكانوا علىٰ كثرتهم يقفون منتظمين لا يتجاوز أحدهم مكانه أو وظيفته المسئول عنها.

[١٨] ولما سار الجيش في قوة ونظام مرُّوا علىٰ وادٍ تعيش فيه النمل؛ فلما رأتهم نملة قالت علىٰ سبيل النصح والتحذير للنمل: ياأيها النمل ادخلوا أماكنكم التي تسكنون فيها حتىٰ لا يهلكنكم سليمان وجنوده وهم لا يعلمون؛ فأراه جل وعلا وأرانا قدرته وحكمته في قوله تعالىٰ: ﴿أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه:٥٠].

[١٩] ثم بين سبحانه ما فعله سليمان بعد أن سمع ما قالته النملة بأن تبسم لقولها؛ وقال داعيًا ربه: يارب ألهمني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليَّ وعلىٰ والديَّ، ووفقني للعمل الصالح وتقبله مني، وأدخلني برحمتك وإحسانك في نعيم جنتك مع عبادك الصالحين الذين رضيت عنهم ورضوا عنك.

[٢٠] ولمّا تفقد سليمان عليه السلام أتباعه وجنوده قال: أين الهدهد فإني لا أراه بين الطيور؟، فهل كان من الغائبين؟

[٢١] ولما تأكد سليمان أن الهدهد كان غائبًا قال متوعِّدًا إياه: لأعذبنّه عذابًا شديدًا لغيابه - دون إذن مني -، أو لأذبحنَّه جزاءً له علىٰ ما فعل، وعبرةً لغيره، أو لابد أن يأتيني بسبب واضح وحجة قاطعةٍ علىٰ تغيبه وتخلفه.

[٢٢] فلم يتأخر الهدهد كثيرًا، ثم جاء إلىٰ سليمان عليه السلام فقال له مُبْدِيًا سبب تأخره وتغيبه: إنه قد حصل لي علمٌ مهم، لم تطلع أنت عليه - مع سعة علمك -، لقد جئتك يانبيَّ الله من عند قبيلة سبأ التي باليمن بخبر خطيرٍ يقينيٍّ لا شكَّ فيه.

وهذا درس في القيادة، فالواجب علىٰ من يرأس الناس والجيوش أن لا يغيب عنه شأن من الأمور العامة، وأن تكون له بصيرة بمن هم تحت قيادته؛ لأنهم إذا أمنوا العتب أساؤوا الأدب، وإذا غابت الرقابة حصلت الاختراقات والاختلافات والاختلاسات، ولذلك فبسبب الحَزْمِ والمتابعة آمنت وأسلمت لسليمان اليمن كلها.

إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ وَلَهَا
عَرۡشٌ عَظِيمٞ ٢٣ وَجَدتُّهَا وَقَوۡمَهَا يَسۡجُدُونَ لِلشَّمۡسِ
مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ
فَهُمۡ لَا يَهۡتَدُونَ ٢٤ أَلَّا يَسۡجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِي يُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ فِي
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُخۡفُونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ٢٥ ٱللَّهُ
لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ٢٦ * قَالَ سَنَنظُرُ
أَصَدَقۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٢٧ ٱذۡهَب بِّكِتَٰبِي هَٰذَا
فَأَلۡقِهۡ إِلَيۡهِمۡ ثُمَّ تَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَٱنظُرۡ مَاذَا يَرۡجِعُونَ ٢٨ قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلۡمَلَؤُاْ إِنِّيٓ أُلۡقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٞ كَرِيمٌ ٢٩ إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ
بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣٠ أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ٣١
قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَفۡتُونِي فِيٓ أَمۡرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمۡرًا حَتَّىٰ
تَشۡهَدُونِ ٣٢ قَالُواْ نَحۡنُ أُوْلُواْ قُوَّةٖ وَأُوْلُواْ بَأۡسٖ شَدِيدٖ وَٱلۡأَمۡرُ
إِلَيۡكِ فَٱنظُرِي مَاذَا تَأۡمُرِينَ ٣٣ قَالَتۡ إِنَّ ٱلۡمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرۡيَةً
أَفۡسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهۡلِهَآ أَذِلَّةٗۖ وَكَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ٣٤
وَإِنِّي مُرۡسِلَةٌ إِلَيۡهِم بِهَدِيَّةٖ فَنَاظِرَةُۢ بِمَ يَرۡجِعُ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ٣٥

[٢٣] ثم قال الهدهد لسليمان: يانبي الله إني وجدت امرأةً - قيل أنها بلقيس -، تملك قبيلة سبأ، وأوتيت من كل شيء مما يكون للملوك في ذلك الزمان من مظاهر القوة والحُكْم، ووجدتُ لها كُرسيًّا عظيمًا هائلًا تجلس عليه.

[٢٤] ثم قال الهدهد: ولقد وجدت يانبي الله هذه المرأة وقومها يُشركون بالله، فيعبدون الشمس ويسجدون لها من دون الله، وقد حسَّن لهم الشيطان شركَهم؛ فصدَّهم وأبعدهم عن طريق التوحيد والإيمان، فوقعوا في الضلالة والغواية.

[٢٥] ثم قال الهدهد: لقد حسَّن لهم الشيطان أعمالهم حتىٰ تركوا السجود لله وحده لا شريك له؛ الذي يُظهِر ما هو مخفيٌّ ومخبوءٌ في السماء والأرض كالمطر والزرع والنبات والدواب، والذي يعلم ما تخفون في صدوركم، وما تُعلنون.

[٢٦] ثم أخبر جل في علاه أنه لا معبود بحقٍّ سواه، وأنه ربُّ العرش العظيم الذي هو أعظم المخلوقات.

[٢٧] فقال سليمان عليه السلام للهدهد: سننظر ونتأمل في هذا الخبر الذي جئتنا به، هل أنت صادقٌ فنعفو عنك؟، أم أنت من الكاذبين الذين يُخبرون بخلاف الواقع؟.

[٢٨] ثم كتب سليمان عليه السلام كتابًا إلىٰ ملكة سبأ، ثم أمر الهدهد أن يحمله إليهم، ويلقيه عليهم، ثم يتنحَّىٰ جانبًا، ويستمع إليهم، وإلىٰ تعليقهم علىٰ هذا الكتاب.

[٢٩] ففعل الهدهد ما أُمِرَ به، فألقىٰ الكتاب، وأخذ يستمع، فأخذت الملكة الكتاب ثم جمعت أشراف قومها وقالت لهم: إنه قد جاءنا كتاب عظيم الشأن، جليل القدر.

[٣٠] ثم قالت هذه الملكة: وهذا الكتاب جاءني من ملِكٍ عظيمٍ من ملوك الأرض، يقال له: سليمان، ومضمونه: بسم الله الرحمن الرحيم.

[٣١] ثم قال الملكة: وإن سليمان يقول في هذا الكتاب: لا تعلوا عليَّ ولا تكونوا خارجين عن ملكي، وأتوني مسلمين لله منقادين خاضعين لأمري.

[٣٢] ثم قالت الملكة لكبار رجال دولتها وأشرافهم: ياأيها القوم أشيروا عليَّ وأخبروني ماذا أفعل في هذا الأمر، فما كنتُ أنا مستبدّةً برأيي ولا باتّةً في الأمر حتىٰ آخذ رأيكم ومشورتكم.

[٣٣] فأجابوها قائلين: نحن أصحاب قوة وشدّة وبأس، ومعرفة بالحرب، فإذا تطلب الأمر ذلك؛ فنحن مستعدون، ولكن الأمر راجعٌ إليك، والتدبير والبتّ فيه موكولٌ لك، فانظري ما فيه المصلحة، ونحن طائعون لأمرك، عاملون برأيك.

[٣٤] فقالت لهم: إن من عادة الملوك إذا اقتحموا قريةً ودخلوها بغير صلح؛ أنهم يعيثون فيها الفساد، بالقتل والنهب، والتخريب والسلب، وأنهم يصيِّروا حال سادتها الأعزاء إلىٰ مهانين أذلّاء، وهذه عادة الملوك لإحكام سيطرتهم علىٰ الناس، وإلقاء المهابة في قلوبهم.

[٣٥] ثم قالت الملكة لهم: أيها الملأ سأختبر هؤلاء القوم، وسُأرسل إليهم بهدية من نفائس الأموال، فأنظر هل يستمر علىٰ رأيه وقوله؟ أم سيقنع بالهدية، ويصرف النظر عنَّا، أو سيصر علىٰ أن نخضع لحكمه؟.

.....

.....

.....

.....

.....

فَلَمَّا جَآءَ سُلَيۡمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٖ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيۡرٞ مِّمَّآ
ءَاتَىٰكُم بَلۡ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمۡ تَفۡرَحُونَ ٣٦ ٱرۡجِعۡ إِلَيۡهِمۡ فَلَنَأۡتِيَنَّهُمۡ
بِجُنُودٖ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخۡرِجَنَّهُم مِّنۡهَآ أَذِلَّةٗ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ٣٧
قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَيُّكُمۡ يَأۡتِينِي بِعَرۡشِهَا قَبۡلَ أَن يَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ
٣٨ قَالَ عِفۡرِيتٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَۖ
وَإِنِّي عَلَيۡهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٞ ٣٩ قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلۡمٞ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ أَنَا۠
ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسۡتَقِرًّا عِندَهُۥ
قَالَ هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّي لِيَبۡلُوَنِيٓ ءَأَشۡكُرُ أَمۡ أَكۡفُرُۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا
يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٞ ٤٠ قَالَ نَكِّرُواْ لَهَا
عَرۡشَهَا نَنظُرۡ أَتَهۡتَدِيٓ أَمۡ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهۡتَدُونَ ٤١ فَلَمَّا
جَآءَتۡ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرۡشُكِۖ قَالَتۡ كَأَنَّهُۥ هُوَۚ وَأُوتِينَا ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهَا
وَكُنَّا مُسۡلِمِينَ ٤٢ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعۡبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ إِنَّهَا كَانَتۡ مِن
قَوۡمٖ كَٰفِرِينَ ٤٣ قِيلَ لَهَا ٱدۡخُلِي ٱلصَّرۡحَۖ فَلَمَّا رَأَتۡهُ حَسِبَتۡهُ لُجَّةٗ
وَكَشَفَتۡ عَن سَاقَيۡهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرۡحٞ مُّمَرَّدٞ مِّن قَوَارِيرَۗ قَالَتۡ رَبِّ
إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي وَأَسۡلَمۡتُ مَعَ سُلَيۡمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٤٤

[٣٦] فلمّا جاء السفيرُ حامل الهدية إلىٰ سليمان عليه السلام؛ تغيَّظ منه، ومن تصرُّفِ قومه، وقال له منكرًا عليه: أترضونني بمالٍ وتُغروني به؟!! فالذي أعطاني الله من الملك والنبوة والمال خيرٌ وأفضل مما أعطاكم، فمثل هذه الهدية لا أفرحُ بها؛ بل تفرحون بها أنتم ومن علىٰ شاكلتكم من أهل الدنيا.

[٣٧] ثم قال سليمان لهم: ارجعوا إلىٰ قومكم بهديتكم، وأخبروهم أنا سنأتيهم بجنودٍ وحشود لا طاقة لهم بمقابلتها، ولا بالوقوف أمامها، ولنخرجنّهم من أرضهم ومملكتهم أذلَّةً صاغرين في غاية الذلّ والهوان.

[٣٨] ثم قال سليمان عليه السلام للملأ من حوله من الجن والإنس: من منكم يستطيع أن يأتيني بسرير هذه الملكة قبل أن تأتي هي وقومها إلينا مستسلمين طائعين؟!

[٣٩] فقال جنيٌّ نشيط جدًّا: أنا آتيك به قبل أن تقوم من مجلسك الذي أنت فيه، وأنا قوي أستطيع حمله، وأمينٌ آتيك به كما هو، لا أنقُص منه شيئًا.

[٤٠] ثم قال رجلٌ عنده علمٌ من الكتاب، وقيل: أنه يعرف اسم الله الأعظم، قال لسليمان عليه السلام: أنا آتيك بالعرش في لحظة واحدة، وهي مقدار فتح عينيك وإغماضها، فأذن له سليمان عليه السلام، فدعا الله جل في علاه باسمه الأعظم؛ فإذا بالعرش ماثلًا أمامه، فقال سليمان حينها: هذا من فضل ربي عليَّ ورحمته بي، وذلك ليختبرني أأشكر وأنسب الفضل لله وحده، أم أكفر بنعمة الله فأترك شكرها، ثم قال عليه السلام: ومَنْ شَكَرَ نِعَمَ الله عليه فإن نفع ذلك عائدٌ عليه، وأما من جحدها فإنه جل وعلا هو الغني عن خلقه، وهو سبحانه الكريم الذي يتكرم ويتفضل علىٰ عباده بنعمه.

[٤١] ثم قال سليمان عليه السلام لِمَن حوله: اصنعوا في عرشها بعض التغيير بزيادة فيه، ونقصان منه؛ لنختبر بذلك حصافتها وفطنتها، فننظر أتهتدي إلىٰ عرشها فتعرفْه أم تكون من الذين لا يهتدون؟.

[٤٢] فلما وصلت الملكة إلىٰ سليمان عليه السلام عرض عليها عرشها بعد أن أجرىٰ عليه بعض التغييرات، وقال لها: هل هذا العرش مثل عرشك؟ فقالت: إنه يشبهه ويقاربه، ولم تقل: نعم هو، ولم تقل: لا ليس هو، وإنما قالت: كأنه هو؛ فكان هذا أحسن وأفضل جواب منها؛ وكما قال ابن كثير: وهذا غاية في الذكاء والحزم، ثم قال سليمان: لقد أصابت هذه المرأة وعرفت الحق، ولكننا أوتينا العلم بالله وبقدرته من قبلها، وكنا متبعين لدين الإسلام منقادين لأمر الله جل وعلا.

[٤٣] ثم بين سبحانه الأسباب التي منعت هذه الملكة من الدخول في دين الإسلام، ومن عبادة الله وحده لا شريك له؛ أنها نشأت بين قوم يعبدون الشمس، فجحدوا نعم الله وعبدوا غيره، وأيضًا وجدت آباءها هكذا علىٰ الضلال فاتبعتهم وسارت مسارهم.

[٤٤] ثم قيل للملكة: ادخلي القصر، فلمّا رأت صحنه ظنت أنه ماء فكشفت عن ساقيها لتخوض فيه، فقال لها سليمان عليه السلام: إنه صرح مُمَلَّسٌ من زجاج صافٍ، يُرىٰ من تحته الماء يجري، كأنه ليس دونه شيء، فلمّا رأتْ ذلك اعترفت بعظمة الله وبنبوة سليمان عليه السلام ورسالته، فتابت من شركها، واعترفت ببطلان ما كانت عليه، ثم أذعنت وأسلمت لله رب العالمين.

قال الشيخ الشعراوي: أخذتها عزة الملك فقالت: ﴿وَأَسۡلَمۡتُ مَعَ سُلَيۡمَٰنَ﴾، ولم تقل: أسلمت تبعًا لسليمان كشأن أتباع الأنبياء.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ
فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ
بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ ۖ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ
تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ۚ قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ
عِندَ ٱللَّهِ ۖ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾ وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ
تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾
قَالُوا۟ تَقَٰسَمُوا۟ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ
مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكَرُوا۟
مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَٱنظُرْ
كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ
أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ ۗ إِنَّ
فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ
ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ
شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾

[٤٥] يخبر جل وعلا أنه أرسل إلىٰ قبيلة ثمود أخاهم في النسب صالحًا، فأمرهم أن يعبدوا الله وحده، ولا يدعوا معه إلهًا آخر، فانقسم الناس بعد دعوته إلىٰ فريقين متخاصمين: فريقٌ آمن بالله ووحده، وصدّق برسوله، وفريقٌ جحد بآيات الله وكذّب رسوله.

[٤٦] قال صالح عليه السلام للمكذبين الجاحدين: لم تؤثرون الكفر علىٰ الإيمان وتستعجلون عقوبة الله، وتقولوا: ﴿ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [العنكبوت:٢٩]؟ وتؤخرون الإيمان بالله الذي هو سبب فلاحكم ونجاتكم، فهلا استغفرتم الله وآمنتم به واتبعتم ما أدعوكم إليه لعله جل وعلا أن يرحمكم ويعفو عنكم.

[٤٧] فأجابه قومه بكبرياء قائلين: لقد تشاءمنا بك ياصالح، وبمن اتبعك، فقد توالت علينا المصائب بسببك، فرد عليهم صالح عليه السلام فقال: ما أصابتكم المصائب إلّا بسبب شرككم وذنوبكم، واعلموا ياقوم أنكم تُختَبرون، وتُمتحَنون بالسراء والضراء، وبالخير وبالشرّ.

[٤٨] ثم أخبر سبحانه أنه كان في مدينة الحِجْر وهي مدينة صالح تسعةُ نفرٍ شأنهم ودأبهم الإفساد في الأرض والتخريب فيها، ولا يقصدون إلىٰ إصلاحها أبدًا.

[٤٩] ثم أخبر سبحانه إنَّ هؤلاء النفر التسعة تعاهدوا بينهم، وأقسم كل واحد منهم للآخر أن يأتوا إلىٰ صالحٍ عليه السلام ليْلًا فيقتلونه ويقتلون أهله، ثم يقولون لأولياء دمه: والله ما شهدنا مقتلهم ولا حضرناه، وسوف يقسمون أنهم لصادقون في ذلك.

[٥٠] ثم إن هؤلاء النفر دبَّروا لقتل صالح عليه السلام بهذه الطريقة، وخطّطوا لذلك في خفية، ولكن الله جل في علاه دبَّر لصالحٍ وأتباعه وخطّط لهم ونجاهم، وأخذ سبحانه هؤلاء المجرمين بالعذاب بغتةً وهم لا يشعرون.

[٥١] فانظر يانبي الله إلىٰ عاقبة أمر هؤلاء المجرمين، ومصير تخطيطهم ومكرهم، هل حصل مقصودهم؟! وهل تمَّ مرادهم؟! إنهم عوقبوا بنقيض ما قصدوا، فدمّر الله هؤلاء التسعة، وقومهم الكفرة أجمعين.

[٥٢] وانظر يانبي الله إلىٰ مساكن هؤلاء الخاوية التي ليس فيها أحد منهم، فقد أُبيدوا جميعًا بسبب ظلمهم لأنفسهم بالشرك، وبسبب تكذيبهم لنبيهم، وجحدهم لآيات ربهم، واعلموا أن في هذه القصة لعلاماتٍ واضحاتٍ، وعبر بيناتٍ لقومٍ يعلمون الحقائق ويُبصرون ما حلّ بالمكذبين فيتعظونً ويعتبرون.

[٥٣] وأنجىٰ جل وعلا الذين آمنوا به وبرُسُله من العذاب والهلاك، وكان من صفات هؤلاء المؤمنين أنهم كانوا يجعلون بينهم وبين عذاب الله وقايةً بتوحيده، والإيمان به وفعل أوامره، وبترك الشرك وتجنبه، وترك ما نهاهم الله عنه.

[٥٤] واذكر يانبي الله لوطًا عليه السلام يوم أن قال لقومه علىٰ سبيل الزجر والتوبيخ: أتأتون هذه الجريمة القبيحة وأنتم تعلمون قبحها وقذارتها.

[٥٥] ثم قال منكِرًا عليهم، مُستَقبِحًا فعلهم: أتُخالفون فطرتكم التي فطركم الله عليها فتنكِحون الذكور من الناس؟!!، وتتركون ما هيَّأه الله لكم لتستمتعوا به من أزواجكم من النساء؟! بل أنتم قومٌ تجهلون بشاعة ما تقومون به، ولا تخافون مقدار العذاب الذي سيلحق بكم بسبب هذه الفعلة الشنيعة.

۞ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ
لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ
وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٥٧﴾ وَأَمْطَرْنَا
عَلَيْهِم مَّطَرًاۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٥٨﴾ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ
وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ
﴿٥٩﴾ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ
مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن
تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾
أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ
لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًاۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ
بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا
دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِۗ
أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى
ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ
رَحْمَتِهِۦٓۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾

[٥٦] فلم يكن لهم جوابٌ إلّا أن قال بعضهم لبعضٍ: أخرجوا لوطًا ومن آمن به من قريتكم، ثم قالوا مستهزئين: إنهم أناس يتنزهون عما نقوم به، ويستقذرونه، يعني: أنهم لم يعيبوا عليه إلا أنه طاهر ويطلب أن يتطهروا، وهكذا في كل زمان ومكان تكون الاستقامة والهداية والطهارة والصلاح عيوبًا عند الفساق.

[٥٧] فأنجينا لوطًا وأهله من العذاب الذي سيحلُّ بقومه وسينزل بهم، واستثنينا من النجاةِ امرأتَه، فقد كانت من الباقين في العذاب، ومن المُهلَكين.

[٥٨] فأنزل جل وعلا علىٰ قوم لوط عذابًا بأنْ أمطر عليهم حجارةً من سجِّيلٍ اخترقت رؤوسهم فأهلكتهم جميعًا، فبئس المطر مطرهم، وبئّس العذاب عذابهم، فقد قامت عليهم الحجة، وجاءهم النذير فلم يؤمنوا؛ بل كذّبوا وعاندوا.

قال ابن عطية: إن هذه الآية أصل لمن جعل حد اللوطي الرجم، ومذهب مالك رجم الفاعل والمفعول به، ومذهب الشافعي أنه يعامل كالزاني؛ حيث إن الزاني البكر يجلد والثيب يرجم، ومذهب أبي حنيفة: أنه يعزر ولا حد عليه.

[٥٩] وقل يانبي الله: الحمد لله الذي يستحق كمال الحمد والمدح والثناء؛ فهو صاحب النعم والمنن علىٰ عباده، وقل: سلام وتحية علىٰ عباد الله وأوليائه الذين اختارهم سبحانه لحمل رسالته وتبليغ دعوته، وسَلِموا من ارتكاب المنكرات والمعتقدات الفاسدة، ثم اسأل المشركين من قومك يانبي الله: هل الله جل في علاه الذي يملك النفع والضر خير، أم هذه الأصنام التي تعبدونها من دون الله التي لا تملك لكم ضرًّا ولا نفعًا.

وقوله: ﴿ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾، قيل: إن النبي ﷺ كان إذا قرأ هذه الآية قال: «**بل الله خير وأبقىٰ وأجل وأكرم**»[١].

[٦٠] واسألهم يانبي الله: مَن الذي خلق السماوات والأرض؟ ومَن الذي أنزل من السماء الماء الذي تنبت به الحدائق والبساتين ذات المناظر الجميلة؟ وأنتم تعلمون أن لا يمكن لأحد من البشر أن يُنبت هذه الأشجار، هل يوجد إلهٌ آخر مع الله فعل ذلك حتىٰ تعبدوه من دون الله، وتشركوه في العبادة؟؛ بل اعلم يانبي الله أن هؤلاء المشركين قوم يعدلون بالله غيرَه، ويسوون به من سواه بغير برهان.

[٦١] واسألهم يانبي الله: مَن الذي سوَّىٰ لكم الأرض وهيأها لكم لتستقروا عليها؟ ومَن الذي جعل في وسط الأرض أنهارًا ينتفع بها العباد؟ ومن الذي ثبَّت الأرض وأرساها بهذه الجبال لئلَّا تتحرك وتضطرب؟ ومَن الذي جعل حاجزًا بين البحرين (العذب والفرات) فلا يختلطان ولا يمتزجان إذا التقيا؟!؛ بل يحتفظ كل واحد منهما بخواصّه؟! هل يوجد إلهٌ آخر مع الله فعل ذلك حتىٰ تعبدوه من دون الله، وتُشركوه في العبادة؛ بل اعلم يانبي الله أن أكثر هؤلاء المشركين لا يعلمون توحيد ربهم، ولا ينزهونه عمّا لا يليق به جلَّ في عُلاه.

[٦٢] واسألهم يانبي الله: مَن الذي يجيب المضطر الذي أقلقته الكروب؟! ومَن الذي يُنقذ من احتار وضلَّ في الدروب؟! ومَن الذي يغيث من تعسَّر عليه المطلوب؟! إلّا الله وحده، سبحانه جل في علاه، علَّام الغيوب، ومَن الذي يكشف الضر – من مرض وفقرٍ – إذا نزل بالعبد؟! إلّا الله؟!! ومن الذي يجعلكم خلفاء في الأرض تخلفون من سبقكم، ويخلفكم من بعدكم؟! هل يوجد إلهٌ آخر مع الله فعل ذلك حتىٰ تعبدوه من دون الله، وتُشركوه في العبادة؟! إنكم قليلًا ما تتعظون فترجعون إلىٰ الحقّ.

[٦٣] واسألهم يانبي الله: مَن الذي يدلّكم ويرشدكم في ظلمات البر والبحر؟!، ومَن الذي يرسل الرياح قبل المطر مبشراتٍ بقرب نزوله فيفرح بذلك العباد؟! هل يوجد إلهٌ آخر مع الله فعل ذلك حتىٰ تعبدوه من دون الله، وتُشركوه في العبادة؟! فتنزَّه الله وتقدَّس عن إشراك هؤلاء المشركين معه آلهة أخرىٰ؛ فهو الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد.

---

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (١٩١٥)، من حديث عليِّ بن الحسين مرسلًا.

أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ
أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾ قُل
لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ
أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ بَلْ هُمْ فِى
شَكٍّ مِّنْهَا ۖ بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَءِذَا
كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا
نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾
قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ
﴿٦٩﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾
وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٧١﴾ قُلْ عَسَىٰٓ
أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ
لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ
رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾ وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ
فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ
يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾

[٦٤] واسألهم يانبي الله: مَن الذي يبدأ الخلق ويوجِده مِن العدم؟! ومَن الذي يُفنيه وينهيه من الوجود؟ ومَن الذي يعيد خلقَه مرَّةً أخرىٰ؟! ومَن الذي يرزقكم بإنزال المطر مِن السماء؟ وبإنبات الزرع من الأرض؟! هل يوجد إلهٌ آخر مع الله فعل ذلك حتىٰ تعبدوه من دون الله، وتُشركوه في العبادة؟! فإن ترددوا أو سكتوا فقل لهم يانبي الله: هاتوا أدلتكم وحججكم فيما تدّعون بأن مع الله آلهة أخرىٰ إن كنتم صادقين.

وهذه الاستفهامات التي تكررت في قوله: ﴿أَمَّنْ﴾، هي للتقرير، وإثبات ما يعتقده المؤمنون بالخالق، وتوبيخ للمشركين الضالين عن الهدىٰ.

[٦٥] ثم قل لهم يانبي الله: إنه لا أحد يعلم غيب السماوات والأرض إلّا الله وحده، فهو سبحانه الذي اختصَّ بذلك دون من سواه، وما يدري الناس ولا يعلمون متىٰ يُبعثون من قبورهم للجزاء والحساب.

[٦٦] يخبر جل علا أن الكفار تدارك وتتابع علمهم أنه ليس هناك آخرة ولا بعث بعد الموت؛ بل إنهم في شك وريبة من ذلك، وقد تكرر إنكارهم للبعث حتىٰ تقرر في نفوسهم أنه لا بعث، بل الأعظم من ذلك أنهم قد عميت قلوبهم عمَّا كان يقوله ﷺ عنها، وكذبوه وأنكروا وقوعها؛ بل إنهم قالوا عن الآخرة والبعث علىٰ سبيل الاستهزاء: ﴿هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [سبأ:٧].

[٦٧] وقال الذين جحدوا بآيات الله وكفروا بالبعث وباليوم الآخر: هل سنُبعَثُ نحن وآباؤنا من قبورنا مرَّةً أخرىٰ بعد أن نصير ترابًا ورمادًا؟!

[٦٨] ثم قالوا متمادين في تكذيبهم بالبعث: لقد وُعِدْنا هذا البعث نحن وآباؤنا من قبلنا، فلم يحصل شيء من ذلك، فما هذا البعث إلّا مِن قبل حكايات الأولين وقصصهم وخرافاتهم المسطَّرة في كتبهم التي يقطعون بها أوقاتهم ويتسلوْن بها في سمرهم.

[٦٩] فقل لهم يانبي الله: سيروا في الأرض وامشوا فيها، وانظروا بأعينكم إلىٰ آثار من قبلكم من المكذِّبين، وتفكروا واعتبروا وتدبروا كيف كانت نهاياتهم؟! فالله الذي أحياهم ثم أماتهم قادرٌ علىٰ إيجادهم مرةً أخرىٰ لو كنتم تعقلون.

[٧٠] ثم أمر جل وعلا نبيه محمدًا ﷺ أن لا يحزن علىٰ هؤلاء المكذّبين، ولا من ردودِهم عليك، ولا من مكرهم بك، وكيدهم لك، ولا يضيق صدرك بذلك.

[٧١] ويسأل هؤلاء المكذبون باستهزاء وعناد ويقولون: متىٰ يتحقق هذا الوعد بالعذاب الذي وعدتنا به؛ إن كنت صادقًا أنت وأتباعك فيما تَعِدُنا به؟!

[٧٢] فقل يانبي الله لهؤلاء المشركين: لا تستعجلوا العذاب فعسىٰ أن يكون قد اقترب لكم بعض الذي تستعجلون من العذاب، قال المفسرون: الذي رَدِفَ لهم هو هزيمتهم وقتل زعمائهم في وقعة بدر.

[٧٣] واعلم يانبي الله أن ربك ذو فضْل علىٰ جميع الناس، فلا يُعاجل المكذِّب بالعقوبة علَّه يتوب ويهتدي، ولكن أكثر الناس يشركون بالله، ولا يعترفون له بما أنعم به عليهم.

[٧٤] ثم أخبر جل وعلا نبيه ﷺ أنه يعلم ما تُخفيه صدور هؤلاء المشركين وتنطوي عليه، ويعلم ما يُعلنون وما يجهرون به.

[٧٥] وأخبره سبحانه بأن ما من شيء يغيب ويخفىٰ عن المخلوقين في السماوات والأرض إلّا وهو مسطّرٌ في كتاب واضح بيّنٍ؛ ألا وهو اللوح المحفوظ.

[٧٦] ثم ذكر جل وعلا أن من فضل الله وإحسانه علىٰ بني إسرائيل وعلىٰ الناس أجمعين أن أنزل هذا القرآن العظيم النفع الشريف الذكر، وأن فيه بيانًا لِمَا اختلف فيه بنو إسرائيل؛ مثل اختلافهم في المسيح وأمه عليهما السلام، واختلافهم في عزير، واختلافهم في البعث، وهل البعث للأرواح والأجسام، أم للأرواح فقط.

وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُم
بِحُكْمِهِۦۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۖ إِنَّكَ عَلَى
ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ
إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْۖ إِن
تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ ۞ وَإِذَا وَقَعَ
ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ
ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ
فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ
أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ
﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾ أَلَمْ
يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًاۚ إِنَّ فِى
ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن
فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ
دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ
صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾

[٧٧] ذكر جل وعلا أن من صفات هذا القرآن أنه هُدىً ونورٌ ورحمةٌ للمؤمنين، فهم الذين يستضيئون بنوره ويهتدون به، والمؤمنون هم المصدّقون المهتدون؛ سواءً كانوا من المسلمين أو من اليهود أو غيرهم إذا آمنوا بك، وبما أرسلت به، وتركوا عبادة غير الله.

[٧٨] ثم أخبر سبحانه أنه سيقضي بين المختلفين، ويحكم بين المتنازعين بحُكْمه وقضائه العدل، وهو سبحانه العزيز الغالب الذي لا يُرَدُّ قضاؤه، العليمُ بجميع الأشياء علىٰ حقائقها.

[٧٩] ثم يواصل جل وعلا تسليته لنبيه محمدٍ ﷺ، ويذكّره بمهمته، وأنها البلاغ والإرشاد، وأن عليه الاستعانة بالله، والاعتماد عليه سبحانه، لأنه علىٰ الحق الواضح البيِّن الذي لا شك فيه.

[٨٠] ثم أخبر جل وعلا نبيه ﷺ أن من هؤلاء الكفرة قوم كالموتىٰ الذين لا يحسون ولا يعقلون، وكالصم الذين لا يسمعون، لأنهم أعرضوا عن الحق إعراضًا تامًّا وأنكروا القول به والاستماع له.

[٨١] وأخبره أيضًا سبحانه أنه لا يقدر أن يهدي عن الضلالة من عمي قلبه عن الهدىٰ والرشاد، ولا يمكنه أن يُسمع آيات الله إلا لمن يرغب بالنجاة والسلامة من النار؛ وهم المستجيبون لما دعاهم إليه.

[٨٢] ذكر جل وعلا علامة من علامات الساعة الكبرىٰ وهي خروج الدابة؛ حيث أخبر سبحانه أن باب التوبة إذا أقفل، ثم طلعت الشمس من مغربها، ووجب العذاب علىٰ هؤلاء الكفار بسبب تماديهم في المعاصي والطغيان وإعراضهم عن شرع الله وحكمه؛ أخرج الله لهم من الأرض دابة تفضح الكفار وتخبر أن المنكرين للبعث كانوا لا يصدقون بالقرآن ولا بالرسول محمد ﷺ.

قال حبر الأمة ابن عباس رضي الله عنهما: خروج الدابة وطلوع الشمس من المغرب آخر علامات الساعة، وفي صحيح مسلم عن ابن عمر مرفوعًا: «**إن أول الآيات خروجًا: طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة**»(١).

[٨٣] ثم ختم جل وعلا السورة بذكر بعض أهوال يوم الحشر والفزع والرعب الذي يكون فيه، والتغيير الذي يكون في الأرض، ومن ذلك: أنه سبحانه يجمع من كل أمة جماعة ممن كانوا يكذبون بآيات الله وأدلته الواضحة البينة، ثم يقفون بين يدي الله صاغرين منتظمين لا يتقدم منهم أحد علىٰ أحد، ثم يساقون إلىٰ مصيرهم الذي أراده الله لهم.

[٨٤] ثم بين سبحانه أنهم إذا حضروا في ذلك اليوم وجيء بهم للحساب؛ قال الله لهم: أجحدتم بآياتي ولم تؤمنوا بها؟! وبادرتم إلىٰ ردِّها والتكذيب قبل أن تتفكروا فيها وتتصوروها تصوُّرًا صحيحًا؟ فكان ذلك سبب هلاككم! أم ماذا كنتم تعملون، وبأي شيء كنتم منشغلين؟!.

[٨٥] ثم بين جل في علاه أن العذاب وجب وحق عليهم بسبب ظلمهم وشركهم وتجاوزهم لحدِّهم؛ وليس لديهم عذرٌ يعتذرون به، ولا حجّة يدفعون بها عن أنفسهم، فهم ساكتون واجمون.

[٨٦] ألَمْ ينظر هؤلاء المكذّبون إلىٰ آيَتَيْ الليل والنهار؟ فيتعظون بها؟ ألَمْ يشاهدوا آية الليل وكيف جعله الله مظلمًا ساكنًا ليسكنوا فيه؟ ألَمْ يشاهدوا آية النهار، وكيف جعله الله مضيئًا ليبصروا فيه ما يسعون له من طلب معاشهم الذي ليس لهم منه بد؟! إن في هذه الآيات وتصريفها لعلاماتٍ واضحاتٍ بيناتٍ لمن له عقل فيهتدي إلىٰ الإيمان بالله وبوحدانيته، واستحقاقه العبادة وحده دون من سواه.

[٨٧] واذكر يانبي الله يوم ينفخ المَلَك في الصور، فيفزع ويخاف وينزعج كل من في السماوات والأرض، ويموجون ويضطربون ويصعقون، أي: يهلكون من هول تلك النفخة؛ إلّا من شاء الله من الخلائق ممَّن أمَّنهم الله من هذا الفزع؛ نسأل الله الكريم من فضله، وكلُّ الخلائق تأتي إلىٰ الله في ذلك اليوم في صَغَار وذلّة.

[٨٨] وتذكروا أيها الناس ذلك اليوم العصيب وهو يوم القيامة يوم ترون الجبال، تظنونها علىٰ حالتها في الدنيا من الثبات والاستقرار، وهي في حقيقتها تسير من خفتها؛ كسير السحاب سيرًا حثيثًا؛ حيث صارت كالعهن، أي: كالقطن المنفوش، وهذا كله من صُنْع الله الذي أحكم وأوثق كل شيء، إنه سبحانه خبيرٌ بما تفعلون، وسيجمعكم ذلك اليوم، ويجازيكم علىٰ أفعالكم، إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشرّ.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٤١).

مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَا وَهُم مِّن فَزَعٖ يَوۡمَئِذٍ ءَامِنُونَ ٨٩
وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ هَلۡ تُجۡزَوۡنَ إِلَّا
مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٩٠ إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلۡبَلۡدَةِ
ٱلَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَيۡءٖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ
٩١ وَأَنۡ أَتۡلُوَاْ ٱلۡقُرۡءَانَۖ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ
وَمَن ضَلَّ فَقُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ٩٢ وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ
سَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعۡرِفُونَهَاۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ٩٣

سُورَةُ القَصَصِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

طسٓمٓ ١ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ٢ نَتۡلُواْ عَلَيۡكَ
مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرۡعَوۡنَ بِٱلۡحَقِّ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٣ إِنَّ
فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلَ أَهۡلَهَا شِيَعٗا يَسۡتَضۡعِفُ
طَآئِفَةٗ مِّنۡهُمۡ يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَيَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ
مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٤ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ
فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنَجۡعَلَهُمۡ أَئِمَّةٗ وَنَجۡعَلَهُمُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ٥

[٨٩] ذكر جل وعلا الفائزين يوم القيامة وبين أنهم هم الذين جاءوا بالتوحيد وآمنوا بالله وعبدوه وحده وعملوا الأعمال الصالحة، وهؤلاء يجازيهم الله بما هو خير لهم من هذه الأعمال، وهو جنة عرضها كعرض السماوات والأرض، وأنهم يوم الفزع الأكبر آمنون مطمئنون.

[٩٠] ثم ذكر سبحانه الخاسرين وبين أنهم هم الذين جاءوا بالشرك والأعمال السيئة، وهؤلاء جزاؤهم أن يكبَّهم الله علىٰ وجوههم في النار يوم القيامة، ويقال لهم علىٰ سبيل الزجر: ما حل بكم من العذاب والنكال كان بسبب إشراككم بالله وإجرامكم وأعمالكم الفاسدة.

[٩١] وقل يانبي الله للناس: إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة، وهي مكة حرسها الله وحفظها، التي حرم الله علىٰ خلقه أن يسفكوا فيها دمًا حرامًا، أو يظلموا فيها أحدًا، وهو سبحانه رب كل شيء ومليكه، وقل لهم أيضًا: وأُمرت أن أكون من المنقادين لأمره، المبادرين لطاعته.

[٩٢] وقل لهم أيضًا: وأمرت أن أتلو القرآن علىٰ الناس، فمن اهتدىٰ إلىٰ الحق الذي جئت به فإن نفع ذلك وجزاءه يعود إليه، ومن ضلَّ عن طريق الحق فقل له يانبي الله: إنما أنا نذير للمكذبين الضالين من عذاب الله وعقابه، وليس بيدي هدايتكم أو إكراهكم علىٰ الإيمان.

[٩٣] ثم ختم جل في علاه السورة بأمر نبيه محمدٍ ﷺ أن يقول: الحمد لله، أي: الثناء كله والفضل كله لله تعالىٰ وحده، وسوف يريكم سبحانه آياته الدالة علىٰ وحدانيته وقدرته فتعرفون صدقها، وما ربك يانبي الله بغافل عما يعمله ويقوله الناس لك، فإنه لا يخفىٰ عليه شيء من أعمالهم؛ فاستمر في دعوتك وبلغ ما أمرت به فإن العاقبة لك وللمؤمنين.

وكلمة: ﴿سَيُرِيكُمۡ﴾، أي: سوف يريكم، وهي تدل علىٰ أن آيات عظمة الله وقدرته وتفرده سوف يستمر ظهورها في كل الأزمنة المقبلة.

سورة القصص

سورة القصص مكيّة وآياتها ثمان وثمانون آية.

[١] سبق الكلام علىٰ الحروف المقطعة في أول سورة البقرة.

[٢] بدأت السورة بقوله: ﴿تِلۡكَ﴾ إشارة إلىٰ فخامة آيات هذا القرآن العظيم الذي أنزله الله علىٰ نبيه ﷺ، وإشارة إلىٰ أنها آيات بينات واضحات، وضحت أحكام الله وشرائعه وأوامره ونواهيه، وأمور الدنيا والآخرة.

[٣] ثم بين سبحانه أنه سوف يتلوا علىٰ نبيه ﷺ شيئًا من خبر موسىٰ وفرعون؛ وهذه التلاوة كلها حق وصدق لا لبس فيها ولا شكوك؛ وهي لقوم يصدقون بهذا القرآن ويعملون بما فيه من أحكام ومواعظ؛ لأنهم هم المنتفعون بما يُتلى عليهم والمستزيدون به نورًا وصلاحًا واستفادة.

[٤] ثم أخبر جل وعلا نبيه ﷺ أن فرعون طغىٰ وتكبر في أرض مصر، وتجاوز كل الحدود في غروره وظلمه، وجعل أهلها طوائف متفرقة تابعة له، ثم اختص طائفة من هذه الطوائف وهم بنو إسرائيل بالإذلال والقهر والظلم؛ لأنهم كانوا وزراء وخدام للحكام الذين من قبله، ومن صور الإذلال التي قام بها أنه صار يذبِّح أطفالهم، ويستعبد رجالهم ونساءهم، ولهذا كان فرعون من المفسدين الذين عاثوا في أرض مصر فسادًا وظلمًا، حتىٰ وصل به الأمر أن رفع نفسه فوق البشر؛ وحيث إن كلمة الله هي العليا، وإن العز والسيادة إذا لم تكن في ظل الله وحسب تعليماته فإن مصيرها للزوال؛ فكانت نهاية فرعون إلىٰ الزوال بأن أغرقه الله في البحر هو وجنوده أجمعون.

[٥] ثم أخبر جل وعلا أنه أهلك فرعون الطاغية الظالم ليتفضل سبحانه علىٰ الذين استضعفهم وأذلهم فرعون من بني إسرائيل؛ فيجعلهم قادة وملوكًا في الخير، ويجعلهم الوارثين للأرض بعد هلاك هذا الطاغية المجرم وقومه الظالمين. وهكذا تم ما أراد الله؛ فقد جعل الله فرعون نفسه وزوجه يتوليان رعاية موسىٰ وتغذيته إلىٰ أن بلغ رشده واستوىٰ وقتل القبطي، ثم هرب إلىٰ مدين خوفًا من المطالبة بدم القبطي؛ حيث التقىٰ بالرجل الصالح؛ الذي يقال: إن اسمه شعيب؛ فاتفق معه علىٰ عقد عمل والزواج من ابنته، ثم عاد إلىٰ مصر نبيًّا ورسولًا داعيًا فرعون للتوحيد، حتىٰ كانت النهاية المعروفة لفرعون.